كسر المتعارف الجمعي في الشعر الأندلسي - دراسة في غرائبية القول والفعل-

أ.م.د. رعد ناصر مايود الوائلي/ جامعة واسط – كلية التربية – قسم اللغة العربية
جمال جاسم سريبوط البو حمد

Collective customary break in the Andalusian poetry

Study in exotic word and deed

Human nature has multiple affiliations, and this affiliation may have been grappling

integrated. And belonging positive supports human freedom and its uniqueness and puts it in its proper place in the social system, and the negative of belonging It forms forcibly socially or fanatical ideologically or religiously ethnically as well as Kherojah customary; in fact imposes on the human range of affiliations that take a ladder Tertsm on the runways of different affiliation trends; Man It is governed by a number of affiliations that may sometimes conflict or other sometimes agree. The vision belongs in the other mirror (Allamntmi), and see the other Allamntmi belongs in the mirror are not a departure from objectivity or bias or whim. Since be human rights needs to be harmony with others of the children of sex was formed so the first human groups, and since ancient times also disputed groups among themselves and search for sources of livelihood Vofatt each of them (and blocs / affiliations) in the face of other groups groups and has grown each group cultures to determine their life style , while differences persisted root and affiliations regional diverge Fajtfatt problematic, language and culture, because the need innate instinct requires saturation By meeting and confirm all the same group in the face of (other) Vensjt her stories and legends about distinctive assets and to compete with each other headmistress to other look (transcendental / inferiority) because it achieves its collective sustainability in the face of its conflict with the assets. Over the human history of this relationship continued and that differed in the degree of intensity, and did not succeed wise nor reformers and maybe even the prophets in the creation of a perfect world the consideration of the people some of them as equals, so they had to accept the fact that the difference; it must be the fact that mutual respect and recognition and recognition of the other in recognition of equal rights Per the social partners in this configuration or that, as far as these necessities are available back down anti motives: selfishness, aggressiveness, alienation, rebellion, anxiety, fear, and the chaotic

لم تعرف الدولة العربية الإسلامية إقليما تتداخل فيه العناصر والمكونات الاجتماعية مثل الأندلس فسكان هذا الإقليم كانوا مختلطين من القوط وغيرهم والبرابرة والصقالبة، فضلا عن العرب الوافدين إلى الأندلس من الفاتحين وغيرهم، وشهد ديانات متعددة مسيحية ويهودية وإسلام، ولقد أُثِر عن الأندلس أنها حاضنة التعايش السلمي والديني في عصورها ولكن النظرة المتعمقة أبدت لنا صورا مخالفة لما هو مأثور إذ تدنت حقوق الرعية في كثير من المواضع والعصور... فنتيجة لما في المجتمع الأندلسي من أعراق وطوائف وقوميات متعددة كان لكل منها أثر في الواقع السياسي والاجتماعي، وكان للشعر الحظ الأوفر في التعبير

عما في المجتمع من تقلبات، وصراعات سياسية، وطبقية أو جدليات دينية ترجمها الشعراء لتغذية هذه الأحداث ورفدها من خلال موروثهم الفكري والثقافي مادة حية في الحياة العامة المعاشة...

وقد يلتقي هذا التصور مع ما موجود إذ علمنا إن الشعر مرآة حياة الأمة والباعث الأساس لروح التكتل والحماسة والتعصب لأبناء هذه الأمة فيه... فقد اتسمت العصور الزمنية التي ساد الإسلام فيها بلاد الأندلس بولادة شعراء يشار لهم .وكان هناك أكثر من دافع يجعل هؤلاء الشعراء بمختلف مشاربهم المعرفية المتعددة يطرحون أسئلة الوجود ، والذات ، والنحن ، والانا ، والوطن، والدين ، والقبيلة .... وسواها

وعبروا عن نزوعهم وانتمائهم للدين والقبيلة أو الجنس من خلال أشعارهم التي نظموها، وقد كان هذا النزوع يدفعهم الى التطلع بالنظر إلى الآخر اللامنتمي معهم لاسيما وان الإنسان الأندلسي حاله كحال أي إنسان يتفق أو يختلف في مجالات العقيدة والأرض أو السياسة وغيرها...

والإنسان بطبيعته لديه انتماءات متعددة، وهذه الانتماءات قد تتصارع وقد تتكامل . والانتماء الإيجابي يدعم حرية الإنسان وتفرده ويضعه في مكانه الصحيح في المنظومة الاجتماعية، أما الانتماء السلبي فهو يشكل قهراً اجتماعياً أو تعصباً فكرياً أو دينياً عرقياً فضلا عن الخروجية العرفية ؛ فالواقع يفرض على الإنسان مجموعة من الانتماءات التي تاخذ سلما ترتسم على مدرجاته اتجاهات الانتماء المختلفة ؛ فالإنسان محكوم بعدد من الانتماءات التي قد تتعارض أحيانا أو تتفق أحيانا أخرى .

ان رؤية المنتمي في مرآة الآخر(اللامنتمي)، ورؤية الآخر اللامنتمي في مرآة المنتمي ليستا خروجا عن الموضوعية أو تحيزاً او هوىً . فمنذ تكون البشرية والإنسان يحتاج إلى التآلف مع آخرين من بني جنسه فتشكلت بذلك أولى الجماعات البشرية ، ومنذ القدم أيضا تنازعت الجماعات فيما بينها والبحث عن مصادر عيشها فألّفت كل منها (جماعات وتكتلات /انتماءات) في مواجهة جماعات أخرى ونمتِ الثقافات الخاصة بكل جماعة لتحدد أسلوب حياتها ، فيما استمرت الاختلافات تتجذر والانتماءات الجهوية تتباعد فاختلفت إشكالاً ولغة وثقافة ، لان الحاجة غريزة فطرية تقتضي الإشباع بالتقابل ولتؤكد كل جماعة ذاتها في مواجهة (الآخرين) فنسجتْ لها قصصاً وأساطير عن أصولها المميزة وللتنافس في ما بينها ناظرة إلى غيرها نظرة (متعالية / دونية) لان ذلك يحقق لها ديمومة جماعية في مواجهة صراعها مع الموجودات . وعلى مدى التاريخ الإنساني استمرت هذه العلاقة وان اختلفت في درجة الشدة ، ولم يفلح العقلاء ولا المصلحون وربما حتى الأنبياء في خلق عالم مثالي ينظر فيه الناس لبعضهم على أنهم متساوون ، فاضطروا إلى قبول حقيقة الاختلاف ؛ فلابد من الاعتراف حقيقة الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر اعترافا بحقوق متكافئة لكل الشركاء في هذا التكوين الاجتماعي أو ذاك ، وبقدر ما تتوافر هذه الضروريات تتراجع الدوافع المضادة: الأنانية، العدوانية ، التغريب، والتمرد ، القلق ، الخوف ، والانحلال الفوضوي بوصفها خطرا ممارسا محيطا بقيمة الإنسان ووجوده وكل ما يترشح عنه من تناقضات سلوكية وأفعال.

وتتجسد موضوعة البحث في الشعر الأندلسي تحت مظلة غرائبية القول والفعل. بوصفها ممارسة ثائرة للعبثية و(التضاد / المغايرة) بمشروعية الأصل العرفي (المادية/ اللهوية) وتأصيل ثقافة الانحطاط والانزياح عن تكاملية (الفرد/الجماعة) بعيدا عن ثقافة الدعم والتجذير الفكري (الروحي/ المعنوي) والخروج عن مشروعية (**لَا**

يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا)[١] تلك الممارسة التي تشيع (الظلم والكراهية والعدوان/الفاحشة والفساد) التي توعد الباري جل وعلا متعاطيها بقوله : **(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**[٢] فالاتجاه نحو التفتيش وتقصي الواقع الاجتماعي وحتى السياسي بفوضوية السائد وسلبية المتعاطى (الاجتماعي/الثقافي) قد تدل عن واقع مريض وترجمة لعدم الانسجام بين (الأنا الفردي/ الجمعيّ) مع الواقع[٣] فتدلنا على الخروج من (الانتماء /اللاانتماء) ليس رغبة في(كسر المتعارف/ رؤية الاغتراب) فحسب. بل الولوج في (عالم غرائبية الثقافة/ سلطة الهدم والتجذير): فاللامنتمي " هو الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واهٍ، والذي يشعر بان الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذراً من النظام الذي يؤمن به قومه" [٤] لعل ذلك قد يقترب من – منظورنا [٥]– دعوات الخروج عن الانتماء الإسلامي الأصيل والرغبة في (الازدواج الحضاري /التناقضي) تلك التي قد تكون من مرشحات الأمم المشتركة في الوجود الإنساني الأندلسي وتداخل السلوكيات في ما بينهم في ظل بيئة جديدة بكل إرهاصاتها المادية والفكرية والثقافية بالإضافة إلى استيعابنا وفهمنا لهذه العبثية لما فرضته حياة الغربة والاغتراب واليأس و(هاجس الموت/الحروب والفتن) وغيرها مما يمكن ان يدرج تحت فهم أسباب هذه (الخروجية) وبواعثها التي تزعمها الأندلسيون بوصفهم أفراداً في المجتمع أو شعراء. [٦]

فالشاعر أبو العباس احمد ابن قاسم[٧] يدعو إلى الغربة عن المجتمع (القطيعة /عدم الانتماء) والتخلي عن الإصلاح إزاء أزمة استشراء القبح وإشاعته بقوله :

لَهِجَ النـــاسُ بـــالقبيح وهـــامُوا ... فـــالْزَمِ البيـــتَ واغلِـــقِ الأبْوَابَـــا

وإذا مـــا خرجْـــتَ تطلـــبُ رزقـــاً ... فـــاكْثِرِ الصَّـــمْتَ واضـــمُمِ الأثوابَـــا

فكثيـــرٌ ممـــن تُجـــالسُ تَلْقَـــى ... مـــن عيـــوب الـــورى لديـــه عِيَابـــا

وإذا مـــا ســـألتَهُ عـــن جميـــلٍ ... فـــيهمُ لـــم تجـــدْ لديـــهِ جوابـــا

لقَـــى النـــاسُ قبلنـــا غُـــرَّةَ الـــدهرِ ... ولـــم نلـــقَ منـــه إلا الـــذَّنَابى[٨]

نرى أن مثل هذه الدعوى الاغترابية لم تكن وليدة الصدفة أو اللحظة بل هي نتاج لانحلال واقعي حد الإغراق والهيام- على حد النص- وابتعاد عن السلوك الانتمائي /الإسلامي والفطري فظهر في نصوص الطبقة الحاكمة والمترفة من ذلك الوزير الكاتب والوزير احمد بن محمد بن طلحة (ت٦٣١هـ) [٩] مظهراً الإلحاد والزندقة والفجور[١٠] قائلا :

يقـول أخـو الفضـول وقـد رآنـا ... علـى الإيمـان يغلبنـا المجـون

أتنتهكـون شـهر الصـوم هـلاّ ... حمـاه مـنكم عقـلٌ ودين

فقلـت اصـحَبْ سـوانا، نحـن قـوم ... زنادقـة مـذاهبنا فنـون

نـدين بكـلّ ديـنٍ غيـر ديـن ... الرعـاع فمـا بـه أبـداً نـدين

بحـيّ علـى الصّـبوح الـدّهر نحـن وإبلـيسٌ يقـول لنـا أمـين (١١)

فهذا التراجع الفكري والأخلاقي / اللاانتمائي لم يكن إلّا نكوصاً نفسياً وإنسانيا وخروجا ديناً محضاً (١٢) كالذي يتجه إليه الشاعر مالك بن المُرَحَّل (٦٩٠هـ)(١٣) لا يكتف بالقطيعة عن الناس فيكسر العرف (الايجابي /الإنساني) لقداسة الإنسان وتكريمه بقوله:

أرى الكـلابَ بشـتمِ النـاس قـد ظَلمـتْ والكلـبُ احفـظُ مخلـوقٍ لاحسـانِ

فـإن غضـبتَ علـى شـخصٍ لتشـتمهُ فَقَـل لـهُ أنـت إنسـانُ ابـنَ إنسـانِ (١٤)

فهذا خروج نحو الاغتراب واللاانتماء عند الشاعر(اللامنتمي) الذي عمل على تخطي الحدود (الجمعية /العقدية والثقافية) بتضاد فوضوي وعبثي ممنهج تحت ثقافة (جديدة / داعمة) لاسيما :" إن الثقافة وسيلةٌ خطيرةٌ وفعالـةٌ لأنها الأكثر من غيرها قدرةً على تثبيت التصورات والقيم والرؤى ، وترسيخ المرجعيات الفكرية التي تصدر عن المواقف ، إلى ذلك قدرتها على اختراق الحواجز واجتياز الموانع " (١٥) فهذه الدعوة للفوضى والمغايرة ما هي إلا نتاج الحياة غير المرتكزة على ثوابت ودعائم تؤسس لها هوية (مجتمعية / ثقافية) ومن منظور الباحث قد يكون ذلك عائد لإبعادٍ تاريخيةٍ وفكريةٍ ونفسيةٍ مضطربةٍ في (ميثيلوجيا) انتمائها وعرفها الاجتماعي الأصيل. (١٦)

وليس ببعيد عن الشاعر المرحل فالشاعر الخطيب أبو اسحق إبراهيم التنوخي(١٧) يقرن بين الإنسان والكلاب في الصبر على الدنيا مبتعداً عن (العرف التفائلي) في الحياة بقوله :

دنيـــاك مهمـــا اعتبـــرتَ فيهـــا كجيفـــــةٍ عرضـــــةً انتهـــــابِ

ان شـــــئتها فاحتمـــــل أذاهـــــا واصـــبر عليهـــا مـــع الكـــلابِ (١٨)

فالنص يكشف عن اغتراب الشاعر اغترابا حادا من خلال تلك الإيحاءات الدالة على حجم الغربة المشتركة التي يتجرعها إزاء صراعهِ مع المؤثرات المختلفة في تلك البيئة (غير الآمنة / المحفوفة بالمخاطر) كالذي حدث بعد الفتنة المبيرة على وجهٍ أدق والتي كان " أثرها في بزوغ نوع من التفكير التشاؤمي . ورؤية يائسة للزمن المطلق والزمن الإنساني وأخلاق الناس ، التي تلحق الأذى باضطرابها وتقلباتها ، خصوصاً ابتداء من القرن الخامس ..." (١٩) فنتج عن ذلك حالة من الخوف والقلق والتطاول - النص السالف – يقف الشاعر فيه لهدر قيمة الإنسان وكرامته ودوره في الوجود وتفضيله متناسيا التكريم الذي جاء به القران الكريم للإنسان وتفضيله في قوله تعالى :(**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**) (٢٠).

ويعبر الشاعر الفقيه غالب بن عبد الرحمن المحاربي (ت ٥١٨هـ) (٢١) عن اغترابه متخذا من الوعظ طريقا في تبيان معاناته قائلاً :

كـــن بـــذئبٍ صـــائدٍ مستأنســـاً وإذا أبصـــرت إنســـانا فَفِـــرْ

إنّمـــا الإنســـانُ بحـــر مالـــه ســـاحل فاحـــذرهُ إيـــاكَ الضـــرر

واجعـــل النـــاسَ كشـــخصٍ واحـــدٍ ثـم كـنْ مـن ذلـك الشـخصِ حـذِر(٢٢)

فالمحتوى لانزياحي في النص مع دعوة الشاعر الاغترابية لـ(اللإانتماء /الذئبية) يقتربان من (اللاإنسانية / العبثية) والابتعاد عن الإنس والألفة والحب والانتماء والتعاطف بيد ان (الذئب/الخطر) كما هو شائع في السياق العرفي للفظة ، في حين نجد ان الشاعر يقهر الانتماء الإسلامي إلى الانفلات والإنعتاق من الأخوة والإيمانية التي رسمها الله لنا بتشريعاته السماوية بقولة : (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [٢٣] ويذهب الباحث هنا لقراءة دورة (الاغتراب /اللاإنتماء) لتوطين هذه الاغترابية وتجذيرها في المجتمع مع إدراك مكانة الشاعر العلمية والفقهية التي أشار إليها المقري في نفح الطيب [٢٤] إلا أن الشاعر عمد لتجريد (الإنسان/الجماعة) من تلك القيم وإشاعتها وهذا ما شخصه الشاعر أبو بكر الأبيض المتوفى بعد (٥٢٥ هـ) [٢٥] أيضا في (جماعة/ الفقهاء) وتشبيههم بالذئاب فيخرجهم عن (المجتمعية / الاغتراب) بقوله :

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يدلج في الظلام العاتم [٢٦]

نعم أنهم الفقهاء في ظل موجة من الخراب (النفسي/ والحضاري) برزوا بفتواهم المؤجرة وغدوا يقدمون لكل حادث فتوى ويبررون لكل جريمة في خدمة للأقوى فاحلوا بأهوائهم وحرموا، وعزلوا ونصبّوا بمصالحهم دائما[٢٧] ، الذين اغتربوا عن مشروعية الوظيفة العرفية(قيم الدين/المثل) "مما جعلهم يقعون في أخطاء العامة وانحرافاتهم"[٢٨] والشاعر – الأبيض- ذاته يشبه أحد وزراء الأمير بالكلب مبتعدا عن القيم الإنسانية والفضائل والتكريم (الديني/الإنساني) فيقول:

عكف الوزير على الضلالة جاهداً ووزيـــره المشـــهور كلـــب النـــار [٢٩]

ونجد الكاتب أبو بكر بن قزمان[٣٠] (ت٥٠٨ه) في دعوته الصريحة للاستعداء والمواجهة واللامان دعوة لـ(الشكوكية/ سوء الظن) بالجميع واستظهار لـ(التوحش/اللاخوة) ، البقاء للأقوى على مستوى (الفرد/الجماعة) قائلاً :

لا تطمـــــــئنَّ إلـــــــى أحَـــــــد وأحـــــــذر وشـــــــمّرْ واســـــــتعدّ

فالكـــــــلُّ كلـــــــبٌ مُؤسَـــــــدٌ إلاّ إذا وجـــــــدوا أسَـــــــدْ(٣١)

فلا غرابة ان تظهر مثل هذه الدعوات التي لم تكن وليدة الفراغ بل ناتج غير طبيعي عن الأزمات والصراعات والمحن التي مر بها الإنسان في الأندلس مما كان مدعاة لاغتراب الذات واستفحالها اتجاه الآخر (اللامنتمي) إذ : "يظهر الصراع عند الشعراء الأندلسيين من رغبتهم في تقويض الأخر مقابل الإعلاء من شان ذواتهم . ولقد مظهروا هذه الرغبة في أساليب شعرية كثيرة ، وشكلوها حسب شاعريتهم وطرائقهم الخاصة ...لذا فالنصوص الشعرية الأندلسية تضمر في عمقها انساقا ، ثقافية تعلي من شان الجماعة ضد الواحد الفرد ، إذ استأثر بالسلطة وغلب على المجتمع ، أو العكس تماما" [٣٢] فعلاقة الانتماء مع الاغتراب الجمعي بين (المنتمي/

اللامنتمي)– هنا - ليس فيضاً اغترابياً ، فحسب بقدر ما قد يكون إعادة الوعي الثقافي بوصفه إنتاجا للازمة ، لأنه يرتبط بتجربة الوجود الإنساني وممارسة فعل التمرد على مستوى هذا الوجود، فيصبح الاغتراب مع هذا الانزياح الفكري المتحرك في (الشعر/ المجتمع) جزءاً من المواجهة وعلى بعد المسافة بينهما .

كقول احدهم [٣٣] في هذا الاتجاه :

اشـــددْ يـــديكَ بكلـــبٍ إن ظفـــرتَ بـــهِ فـأكثرُ النـاسِ قـد صـاروا خنـازيرا (٣٤)

وكثيرا ما نجد صوتا لهذه (الاغترابية / اللاانتمائية) وخروجاً عن المألوف والمتداول فيكون الناتج سلوكا هادما بدعوات صريحة بمحتوى الأمر المتقارب إلى النصح الغيرائي بقلب للموازين والانحراف على طريقة الغاية تبرر (الوسيلة / الميكافيلية) بوصفه مظهراً من مظاهر الاغتراب وإبراز لعاملي السبب والنتيجة لتجريد يميل إلى الأعمام كـ(فقدان الثقة /الإخوة الإسلامية). فالجزار السرقسطي[٣٥] يرى في الخروج عن المنطق (العرف/ السائد) حلا ومعنى للصواب ومنطقاً جديدا مصدره الباعث الذاتي المنطلق من بواطنه الذاتية باتجاه الأشياء الخارجية المحيطة بها[٣٦] قائلا:

أشـــقى لجـــدّكَ أن تكـــونَ أديبـــا أو أن يـــرى فيـــك الـــورى تهـــذيباً

مادمـــتَ مســـتوياً ففعلـــكَ كلـــهُ عـــوجٌ وإن أخطـــأتَ كنـــتَ مُصِـــيباً

كـــالفصِ لـــيس يبـــين معنـــى نقشـــه حتـــى يكـــونَ بنـــاؤه مقلوبـــا (٣٧)

فالقراءة الواعية لمثل هذا النص تكشف عيوباً بين (حركة المعنى /منطق الشاعر) مع أهمية ملاحظة محاولة (التأسيس لمنطق جديد) في أدب (السلوك الاجتماعي المهذب) تستند على أن الفرد لابدّ له من أمور يفعلها لكي يتجنب أموراً يكرهها ، بمعادلة موزعة على طرفين تتجه نحو عنصر الإقناع لتأسيس المنطق الجديد/المغاير ؛ فكان (المعنى المسيطر على النص مساويا للقيمة المتناقضة والمعاكسة للسلوك المعياري/الاجتماعي) [٣٨] يضاف إلى ذلك رغبة وإلحاح " الذات الشاعرة إلى إسقاط تصوراتها الشخصية ورؤاها الفلسفية وتأويلاتها الخاصة على الأشياء ، مكسبة إياها بعداً دلالياً ومعنوياً ، هي لا تمتلكه في حقيقة أمرها ، ولكنه يعدّ هو في جوهر رؤية الذات الشاعرة الخاصة " [٣٩] فيقول أبو إسحاق الإلبيري (ت ٤٥٩هـ) [٤٠]:

وكـــم ذئـــب نجـــاوره ولكـــن رأيـــتُ الـــذئب اســـلم مـــن فقيـــه(٤١)

الإلبيري لا يخفي نزعته (السياسية /الاغترابية)على الفقهاء في المجتمع فيتجه إلى نزع تلك القداسة المتمثلة بروح الخشية الدينية والعلمية للفقهاء المنتمين للمذهب المالكي الذين سيطروا على المناصب والقرار في الأندلس التي منحها لهم الأمويون وفوضوهم فكان التضاد السالف لهم محفوفاً بردة فعل وانتقاد فضلا عن سلبيتهم (السياسية /الدينية) . بوصفهم وعاظاً للسلاطين وغطاء شرعيا لتحركات السلطة المتمثلة بالأمراء[٤٢] وشخص ذلك ابن حزم بصفهم قائلاً: "لا يغرنّك الفسّاق المنسوبون إلى الفقه واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر بشرهم، الناصرون لهم على فسقهم"[٤٣] وذكرنا سابقا ان

الدعوة إلى (الفوضى واللانظام/ كسر المتعارف الجمعي) ينحسر ويتقولب ضمن النزعة اللاانتمائية للاغتراب النفسي (الفردي /الجماعي) للبحث عن ثبات إنساني ضائع ، ورغبات في تحقيق وجود وكرامة أهدرتها أجواء القلق والفوضى والفتن والطبقية والتصارع وعدم التصالح بين (الذات/ العالم الخارجي الاجتماعي)[٤٤] وهذا ما تجلى عندنا في عدد غير قليل من القطع الشعرية والنصوص التي سنكتفي بإيراد نتفٍ منها لنبين فيها مظهرا من (مظاهر الغربة /اللاانتماء) إذ أن الشاعر الأندلسي بحكم (الاغتراب / اللاانتماء) المساوي للمحن كان هاجسه الأول التعبير والرد على المجتمع الذي يكشف به عما في نفسه من يأس وإحساس بالهزيمة وشعور بالألم والعجز والإحباط في كثير من الأحيان [٤٥] .

فهذا قول الرمادي (ت ٤٠٣هـ) [٤٦] يتجه للتعري وإزاحة أنظمة التشريع (الوضعي/الديني) فضلا عن الأعراف والأحكام الإسلامية فيجعل : (فخره / نصيب من الفجور) قائلا:

وما بي فخر بالفجور وإنما نصيب فجوري الرشف والشفتان(٤٧)

وقوله في وصف غلام نصراني :

قبَّلتهُ قَدامَ قسّيسِه شربتُ كاساتٍ بتقديسِهِ

يقرعُ قلبي عند ذكري لهُ من فرط شوقي قرعُ ناقوسِهِ(٤٨)

فالرمادي يجاهر علانية بدعوى (اللاانتماء) متجاوزاً حدود الحشمة منتهكاً الرجولة والحياء ؛ كذاك الأمر مع الشاعر أبي بكر عبادة (ت بعد ٤٢١هـ) [٤٩] (الدعوة/ التبرير) لشرب الخمور واغتنام (الفرصة /الندم) على فواتها والتشجيع لتعاطيها بيد أنها باب لجلاء الكروب عن نفسه من خلال مقطوعاته :

اجْلُ المدامةَ فهي خيرُ عروسِ تجلو كروبَ النّفسِ بالتنفيس

واستغنمِ اللذاتِ في عهدِ الصبا وأوانه لا عطرَ بعد عروسِ (٥٠)

ومن أبياته التي انشدها أيضا :

اشرَبْ فعهدُ الشّبابِ مُغْتَنَمُ وفرصة في فواتها نَدَمُ

وعاطنيها بكفِّ ذي غَيَدٍ الحاظُه في النفوسِ تحتكم (٥١)

(الشاعر/الشعر) في النصين السالفين (دعم/تشجيع) للدخول الى عالم اللاوعي والسفه والتيه دون الاكتراث بقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [٥٢] وضرورة إدراك خطره الاغترابي (الاجتماعي/الفوضوي) في الأندلس **كقوله تعالى : (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)** [٥٣] والباحث لا يريد قراءة النصوص وتحليل أثرها ومعطياتها على (اغتراب الشاعر) من منظور إسلامي بل أن دعوة الشاعر (الانحلالية/اللاواعية) هذه حتى وان كانت من باب المجاراة الفنية والخوض في (الأغراض /الأنواع) الشعرية فذلك لا ينهض حجة ومبررا في تأصيل ذلك السلوك ولا

يزيل عن الشاعر اغترابه وخروجه عن حياة المقبوليّة (القوليّة/ الفعليّة) سواء على المستوى الواقعي أو الفني (التخييلي) حتى وان سلمنا بذلك لان الرمادي نفسه أتاح لنا مساحة للاطلاع على جزء من أزمته وبعده الاغترابي (النفسي /الإقصائي) بحديث الماضي (السعيد /الذكريات) بقرطبة قوله:

سقى اللهُ أيامي بقرطبةِ المنى ... سروراً كريّ المنتشي من شرابهِ

وكم مُزِجتْ لي الرّاحُ بالريقِ من يديْ ... أغرَّ يريني الحُسْنَ ملءَ ثيابهِ

أوان عذراي لم يَرُعْ بمشيبه ... شبابي ولم يُوحشْ مَطارُ غُرابه

تُعلّلُني فيهِ الأماني بوعدها ... وهيهات ان أروَى بوردِ سرابه

سلِ العَنَم البادِي من السجف دانفاً ... لتعذيبِ قلبي هل دمي من خضابه (٥٤)

ولعل خير ما يمثل هذا الانحلال والانفلات وطغيان اللاوعي والتطاول الديني والأخلاقي[٥٥] بعيدا عن : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** [٥٦] الشاعر خلف بن فرج السميسر(ت ٤٨٤هـ) [٥٧] الذي يدفعه اغترابه للإقصاء والتطرف والتهميش العرقي ، والقبلي ، والديني على حد سواء والنظر للآخر(اللامنتمي/البرابر) بازدراء وإخراجهم من الآدمية والتجني على القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية جمعاء إذ يقول:

رأيت آدم في نومي فقلت له: ... أبا البرية إنّ الناس قد حكموا

أن البرابر نسلٌ منك ، قال: إذن ... حواء طالقةٌ إن كان ما زعموا (٥٨)

فالسميسر كانت عبثيته هذه دليلا لردة فعل اتجاه غربته الاجتماعية – اللاانتمائية- ووحدته ورفض المجتمع له إذ نجد ذلك في مقطوعتين كما أوردهما صاحب الذخيرة قائلاً :

قصتي يا سادتي مضحكة ... بينكمُ من حيث يُبكي بالمُقَل

إن جئتكم بغريب قلتم ... عندنا أغربُ فاسكت أو فَقَلْ

أبصرَ النصّال دُراً غالياً ... قال عدي منه واجل "(٥٩)

وقوله الثاني أيضا :

ضعتُ في مَعشرٍ كما ضاعَ نوحٌ ... بينَ قومٍ قد أصبحوا كُفّارَهْ

ضربوه وما ضُرِبْتُ ولكن ... جعلوني ممّنْ يُنافِرُ دارَه

فتأخّرْتُ عن دياري لهوني ... والهوَينا لَمَنْ يُخَلّي ديارَه (٦٠)

وتحدثنا عن اغتراب وتضاد السميسر(ت٤٨٤هـ) ورفضه للآخر لعل من نافلة القول الإشارة إلى أن : " ظاهرة الرفض القائم على الجهل بالآخر هي ظاهرة منتشرة بين الثقافات وتقود غالباً إلى مواقف سلبية

منه، قائمة على التنميط المسبق بدءاً باستبعاده وإقصائه وتضخيم الذات ومروراً بالخوف والعنصرية والتخندق الثقافي وانتهاءً بالتباعد في الثقافة والزمن، وتجميد صورة الآخر..." [٦١].

أما الشاعر أبو بكر يحيى بن سهل اليَكّي (ت٥٦٠هـ) [٦٢] فيقسو قسوة واضحة في الإتجاه ذاته على المرابطين .إذ يقترب من منطقة التهكم العنصري المقترن بهجاء الآخرين هجاءً جاهليا قائما على بواعث نفسيةٍ وآلامٍ ودوافع خاصة ناتجة عن شكل من أشكال تقويض الآخر والعدوانية عليه لان : "الهجّاء ، ناقد بطبعه عياب تسترعيه حماقات الناس وأخطاؤهم بأكثر مما تسترعيه فضائلهم ، فهو لا يحسّ مثله الأعلى بطريق مباشر ، ولا يفطن إليه إلا عن طريق ما يعارضه ويثيره ، فكأنه لا يهتدي لنفسه إلا بالقدر الذي يدفعه إليه حقده وغضبه . فهو لا يكتشف ذوقه ومواهبه إلا عن طريق السخط ...الهجّاء ساخط على المجتمع ثائر على ما فيه ضيق به. وهذا الشعور مركوز في نفسه ، مستقر في باطنه . فهو يحول بينه وبين إدْراك الجانب المضي من الحياة فهو كالثور الذي لا يحركه إلا منظر الدم ... " [٦٣] فهنا ندرك تجذر الكراهية بوصفه عقدةً تظهر شعر اتجاه الآخر اللامنتمي كقول اليَكّي :

فِـي كُـلِّ مَـنْ رَبَـطَ اللَثَـامَ(٦٤) دَنَـاءَة ... وَلَـوْ انَّـهُ يَعْلُـو عَلَـى كِيْـوَانِ (٦٥)

مَـا الفَخْـرُ عِنْـدَهُمُ سِـوَى أنْ يُنْقَلُـوْا ... مِـنْ بَطْـنِ زَانِيَـةٍ لِظَهْـرِ حَصَـانِ

المُنْتَمُـوْنَ لِحِمْيَـرٍ لَكِـنَّهُمْ ... وَضَـعُوْا القَـرُونَ مَوَاضِـعَ التِيجَـانِ

لا تَطْلُـبَنَّ مُرَابِطَـاً ذا عِفَّـةٍ ... وَاطْلُبْ شُـعَاعَ النّـارِ فِـي الغَـدْرَانِ(٦٦)

فهنا إبدال للقيم وتجريد الآخرين منها وهذا "... العنف الذي يصحب مثل هذه الظاهرة . فيه الاستعلاء على الخصم بكل شي بالمال وبالأهل والحسب – وفيه السباب – المقذع في كثير من الأحيان ، والذي يتعرض لأغلظ العورات دون احتشام – وفيه التعيير والتهديد " [٦٧] فتضاد اليَكّي جعله(مغترباً /غير منتمٍ) على حد رأي فروم القائل : "إنّ جوهر مفهوم الاغتراب هو ان الآخرين [...] يصبحون غرباء بالنسبة للإنسان" [٦٨] وهذا ما برز جليا في شعر السميسر(ت٤٨٤هـ) الذي يدعو للانتماء والنفور عن (الجماعة / الإنسانية) - كما ذكرنا- وهذا ما نلاحظه في أفعال الأمر : (تحفظ ، صُن، ميّز، نافرْ، ظنّ) الدالة على (الاغتراب/ اللامجتمعية) والقطيعة قائلاً :

تحفَـظْ مِـن ثيابِـكَ ثـمَّ صُـنها ... وإلاّ سـوفَ تلبسُـها حِـدادا

وميّـزْ عـن زمانـكَ كـلَّ حـينٍ ... ونـافرْ أهلَـه تَسُـدِ العبـادا

وظُـنَّ بسـائرِ الأجنـاسِ خيـراً ... وأمّـا جِـنسُ آدَمَ فالبعـادا (٦٩)

الكاتب أبو محمد بن الياسمين (ت٦٠١هـ) [٧٠] يغترب بدعوةٍ لا تنتمي لشرع ولا عرف فيؤسس لكسر منظومة المتعارف (الإنساني / الفطري) على حد سواء فيقول :

يَعيبـون حبـي للسـواد جهالـة ... ومـا علمـوا مـا فيـه لـي مـن مـأرب

أهينـــي لقصـــدي ربـــه وهـــو خـــادم إذا مـــا عـــلا فـــوقي بمجـــداف قـــارب

ويلقـــــي ضـــــحوك السِّـــــنِّ للهِ درُّهُ حَمُـــولاً لمـــا حَمَّلتُـــه غيـــرَ لاغـــبِ

وفيـــه خِصـــالٌ جَمَّـــة غيـــرُ هـــذهِ أحـــقَّ الـــورى طَـــرّاً بخدْمـــةِ كاتـــبِ

فيـــا مَعْشـــرَ الكُتّـــاب أوصـــيكُم بـــه وصـــيَّة مـــن يُعنـــى بحاجـــة صـــاحب(٧١)

فالنص يقصي الأخلاقية المتعارفة والمتوارثة ويعمل على تأسيس ثقافة(جديدة /هادمة) نتاجاً (للانتماء/الاغتراب) ويتجه هنا (الشعر/الشاعر) في إشاعة ظاهرة مرضية خطيرة لثقافة التنامي (الإنساني/الإسلامي) المحض والنص يكتنز بعدا تاريخيا مشفوعا بتطور خطير تلازم بحادثة اغتيال الشاعر ابن الياسمين على اثر علاقة مشبوهة مع ممدوحهِ في النص الماضي[٧٢] فمثل هذه الممارسة – الثقافية والعملية- كانت النقيض من الانتماء العرفي والإسلامي لذلك ظهر الاغتراب الثقافي وانحطتِ الروح الإسلامية والانتمائية الفطرية فتغيرت في نفوس أبناء الأمة من الخير والصلاح إلى الفوضى والانحلال والضلال[٧٣] وصار سببا في ضياع الأمة / وسقوط مدنها بوصفه نتاجاً لا يرقى إليه الشك من منظور الشاعر صالح بن شريف الرندي[٧٤] على حد سواء :

أنـــأمنُ أن يحـــلَّ بنـــا انتقـــام وفينـــا الفســـق أجمـــع والفجـــور

وأكْـــلٌ للحـــرامِ ولا اضـــطرار إلَيْـــهِ فيَسْـــهُلَ الأمْـــرُ العَســـيرُ

ولكـــن جـــرأةٌ فـــي عُقـــر دار كـــذلك يفعـــلُ الكلـــبُ العَقـــورُ

يـــزول الســـترُ عـــن قـــومٍ إذا مـــا على العصيان أرخِيَتِ الستورُ[٧٥]

ولا شك ان مثل هذا النص الذي ورد في رثاء قرطبة بعد سقوطها لم يكن إلا عن واقعية سالبة كما أظهرها إلينا الشاعر الرندي فالأمة التي يكون عدد من قادتها سلبيين[٧٦] - الفقهاء والأمراء - فمن المؤكد أن تشيع الفاحشة بين الناس كانتشار النار في الهشيم فعشق الغلمان كان حاضرا وبقوة في الأندلس كما انقسم الشعراء فيهم- الغلمان - بين الذم والمدح كما وثق هذه الظاهرة ابن بسام في الشعر والمجتمع معاً بقوله :" وأمّا صِفاتُ المُعَذّرِينَ من الغلمان ، فقد جَرَتْ خيول فرسانِ هذا الشّأن ، بهذا الميدان نثراً ونظماً ، وتطاردوا فيه مدحا وذماً " [٧٧] . وغير ذلك من الخروج عن الانتماء الديني وإفشاء المنكرات والدعوة لها[٧٨] عملا وقولا بل كان في "... مناطق الأندلس بعض العادات المنحرفة مثل التستر بالدين والعبادات ويتضح ذلك من خلال نازلة أوردها الونشريسي حيث يقول : وسئل شيوخ الأندلس عن رجل احدث مسجدا ، وان أهل الشر يختلفون إليه مع متبرجات من النساء ، قد جعلوه ذريعة لذلك " [٧٩] ويستنتج من هذه النازلة بالإضافة إلى وجود من يأخذ من الدين ستارا لإعمال الفجور التي يرتكبها ، بل كانت في الأندلس ظاهرة خروج نساء متبرجات ، وذلك من الانحرافات السلوكية التي عرفتها الأندلس... " [٨٠] إذن نخلص مما سلف ان بواعث أزمة (اغترابية/لاانتمائية) في (الشعر/المجتمع)الأندلسي كانت جديرة بادراك خطرها والوقوف عندها ؛ لأنها تستند على تمردات (أخلاقية/ فكرية) عبثية وتطرف خارج عن حدود أنظمة العقل/ (إيديولوجيات) ونظم المعرفة في

الدين والأخلاق والفطرة الإنسانية التي قوامها نواميس السماء والعدل والعفة والصلاح ؛ لأننا ندرك ان هناك خالقاً عدلاً صمداً مدبراً لشؤوننا ولن يرضى بالضلال والفساد إشاعة وعملا والذي ظهر من خلال النصوص والنماذج المكتنزة غربة و(اغتراباً/اللاانتماء) بوصفها محاولةً شعرية لمسخ الهوية (الإنسانية /العرفية) لبديل جديد وناتج ثقافي تبلور خارج حدود الانتماء في دائرة التيه والخزي والضياع[٨١] وهذا ما قد نحسبه على انتماء الشاعر– الإنسان- الأندلسي وارتباطه بأرضه ووطنه مصيراً وقداسة والتزاماً.

وهكذا فقد ألفينا شعرا متمردا ته .فاصطرعت في أعماقه مشاعر الألم .على الأعراف المجتمعية والقيم الدينية .بعد أن تعرض اغلب الشعراء الأندلسيين ممن وقفنا على شعرهم إلى يأس متأت من عجز الحلول المادية على الاتيان بالصالح العام في خدمة الانسان .والحفاظ على كرامته وهيبته فاصطرعت في أعماقه مشاعر الألم والاغتراب من المحيط الذي يعيش في كنفه ،دعاه في نهاية المطاف للانزواء مغتربا ،أو كاسرا للعرف الجمعي .داعيا للفوضى واللانظام متحررا ومنفلتا من طغيان الوعي الديني والأخلاقي في عبثية واضحة تمثل ثورته المتأججة –على الدوام-على المجتمع لاسيما أولي الأمر منهم .وهي دعوة نرانا متعاطفين معها بعد قراءتنا المتأنية من الناحيتين النفسية والفنية لتلك النصوص.

الهوامش:

(١) النساء : ١٤٨.

(٢) النور :١٩.

(٣) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٨٦.

(٤) اللّامنتمي : ٥.

(٥) الباحث في (كسر المتعارف الجمعي) يتخذ من الخروجية العرفية بوصفها دلالةً للاغتراب واللاانتماء بمضامين "... العجز والاستسلام والهراء وفقدان المعنى والتحلل من القواعد العامة المتبعة ، أي ضعف الالتزام بالأعراف الاجتماعية المنظمة للسلوك ، وكذلك الغربة الثقافية من خلال الشعور بالانفصال عن القيم السائدة ، والعزلة الاجتماعية التي تعني الشعور بالوحدة والانفصال ، وقطع العلائق الاجتماعية ، فضلا عن الغربة الذاتية التي تمثل القضية الجوهرية ، إذ أنها تشير من طرف آخر إلى أن الفرد لم يعد يملك زمام ذاته " وينظر الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري : ١٧.

(٦) ينظر: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٢٩٩. ينظر : الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (٩٢هـ-٧١١م=٦٦٨هـ/١٢٦٩) ، نادر فرج زيارة ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية – غزة - ٢٠١٠م : ٢١٩-٢٣٣ .

(٧) هو الأديب الأريب أبو العبّاس احمد بن قاسمِ ، من رؤساء المحدَّثين ، والمتفننين في قرطبة ، كان مشاركاً وبارعا في العلوم القديمة والحديثة والنظر في التعاليم . ناظماً وناثراً قال عنه ابن بسام " أبو العباس هذا في وقتنا بحضرة قُرطبة ، مُقلَةُ عين العصر، وصفحة وجه الدهر تبريزاً في النظم والنثر..." الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢ هـ)، تحقيق. إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر، لبنان ، ط١، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩: ق١، مج١، ص٩٠٥. ينظر : المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد المغربي ، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف ، ط٢، دار المعارف ، مصر، ١٩٥٥م :١٠٩/١-١١٠.

(٨) المغرب في حلى المغرب :١٠٩/١-١١٠. ينظر : الذخيرة : ق١، مج١ ، ص٩١٥.

(٩) " ومن المشهورين بالمجون والخلاعة بالأندلس – مع البلاغة والبراعة- أبو جعفر احمد بن طلحة الوزير الكاتب، وهو من بيت مشهور في جزيرة شقر من عمل بلنسية ، كتب عن ولاة من بني عبد المؤمن ، ثم استكتبه ابن هود حين تغلب على الأندلس ، وربما استوزره في [بعض] الأحيان ، ... شديد التهور كثير الطيش متهتكاً ، ذاهباً بنفسه كل مذهب ، ..." قتل في سنة (٦٣١ ه) : نفح الطيب : ٣٠٧/٣- ٣٠٩.

(١٠) ديوان بحتري الأندلس (أبو بكر يحيى بن مجبر الموحّدي ، جمع ودراسة وشرح الدكتور يوسف عيد، دار الفكر العربي– بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٢٦. ينظر : ٢٦.

(١١) نفح الطيب : ٣٠٩/٣. ينظر : ديوان بحتري الأندلس (أبو بكر يحيى بن مجبر الموحّدي) : ٢٦.

(١٢) لم تكن مثل هذه الهزات والتراجعات في مستوى الوعي وليدة الصدفة - كما أشرنا ودون الأعمام - مما تعرضت له الأندلس في عدد من أوقاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونتج عن ضعف واضطراب وضياع للقيم والمثل كالذي حدث إبان حكم المستنصر سنة (٦١٠-٦٢٠هـ) ومن جاء بعده . ينظر : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د.محمد مجيد السعيد، دار الرشيد للنشر – العراق ، ١٩٨٠ :٤٦-٤٧.

(١٣) الشيخ أبو الحكم مالك بن المرحل "... وهو من يطرز به التأليف ويشار إليه فنون شهرته ... صاحب مطولات مجيدة ، وأمادح مُبدئية في الإحسان مُعيدة ...((مولده)) قال عبد الملك ، اخبرني أن مولده بتلمسان سنة تسع وستمائة ((وفاته)) في عام تسعين وستمائة بسبتة ، على سن عالية فحسن مدى الانتفاع به" الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٦٦ه) تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣م : ٣٢٨- ٣٢٩ .

(١٤) الإحاطة في إخبار غرناطة: ٢٣٤/٣ .

(١٥) المركزية الإسلامية صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى: ١٩.

(١٦) للاستزادة أكثر عن أهمية (ميثيلوجيا الانتماء) و(ميثيلوجيا العرف الاجتماعي) . ينظر: نقد الشعر من المنظور النفسي : ٦٢-٦٤.

(١٧) إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاصي التنَّوخي ، من الشعراء الذين عاشوا بين القرن السادس والسابع للهجرة، أصله من جزيرة طريف، رحل منها سنة ٦٧١ وحل بسبتة ثم عاد إلى الأندلس، واستوطن غرناطة وكتب عن السلطان، وتولى الخطابة والإمامة بجامعها عام (٧٢٦هـ)، جامعا لعلوم الدين واللغة والأدب ، ثبتاً محققاً لما ينقله كان شعره قريباً من الانحطاط. ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٧٤/١-٣٧٧. ينظر : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،لسان الدين بن الخطيب(ت٧٦٦هـ)،تحقيق د.إحسان عباس ، ط١، دار الثقافة – بيروت ، ١٩٦٣: ٣٢-٣٣.

(١٨) الكتيبة الكامنة في ما لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة :٣٣.

(١٩) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٤٥-٤٦ .

(٢٠) الإسراء :٧٠.

(٢١) غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية المحاربي، (ولد سنة ٤٤١هـ)من أهل غرناطة ، أديب وشاعر ولغوي،كان حافظاً للحديث ، وله رحلة إلى المشرق ، فقيه زاهد محدث (ت ٥١٨هـ) ينظر: نفح الطيب،٥٢٣/٢ ، ينظر : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري - القاهرة ، ط١، ١٩٨٩ : ٥٧٧/٢.

(٢٢) نفح الطيب : ٥٢٤/٢.

(٢٣) الحجرات : ١٠.

(٢٤) ينظر: نفح الطيب : ٥٢٤/٢.

(٢٥) هو أبو بكر محمد بن احمد الأنصاريّ المشهور بالأبيض شاعر فحل وله السبق في الشعر والأدب أصله من قرية همدان ، وتأدب باشبيلية وقرطبة ، شاعر ووشاح ، أكثر الهجاء بالزبير الملثم صاحب قرطبة وكان أميراً للمرابطين في قرطبة ، مات بعد ٥٢٥هـ. ينظر : المغرب في حلى المغرب : ١٢٧/٢.

(٢٦) المصدر نفسه : ٣/ ٤٤٨.

(٢٧) ينظر: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، الطاهر احمد مكي ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٨٧ : ٥١.

(٢٨) الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي : ٢٢١.

(٢٩) المغرب في حلى المغرب : ٢/١٢٧.

(٣٠) الشاعر والكاتب أبو بكر محمد الأكبر بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان من أهل البلاغة والبيان ، أول كاتب اتخذه المتوكل (صاحب بطليوس) "...تكدَّر عيشه في أخر عمره، وأساء في حقه القاضي أبو عبد الله بن حمدين، وان أخلاقه كانت صعبه ، فقلَّت من غَرْبه ، وكانت سبباً لطول كربه " توفي سنة (٥٠٨ هـ) ودفن بمقبرة أم مسلمة .المغرب في حلى المغرب: ٩٩/١-١٠٠ ينظر : الذخيرة: ق٢ ، مج ٢، ص٧٧٤.

(٣١) الذخيرة : ق٢ ، مج٢، ٧٨٦.

(٣٢) جماليات النقد الثقافي في الشعر الاندلسي : ٣١ .

(٣٣) لم نقف على قائل هذا البيت والمقري اكتفى بالاستشهاد به فقط .

(٣٤) نفح الطيب : ٤/ ١١٨.

(٣٥) "أبو بكر يحيى بن محمد الجزار وهو تارة يلقب بالجزار، وأخرى بابن الجزار والراجح ان يكون اللقب له لا لأبيه ، لما صح من انه كانت مهنته الجزارة فانتسب لها ...اكتفى ابن سعيد ان جعله من شعراء المائة الخامسة للهجرة ... ابوه كان فلاحاً مغموراً ، فقير الحال ...ولا نعلم متى عمل بالجزارة ، ومتى عدل عنها ، ثم عاد إليها ثانية ،...ويبدو أن دولة الشعر أدبرت عنه ، فلم يحظ بمهنته ما كان يرجو لنفسه من عيشة كريمة ، كما لم يملك أماله بالشعر " مدح بشره ملوك من بني هود ووزرائهم الا ان ابن هود أمر وزيره ابن حسداي ان يوبخ الجزار لعودته للجزارة وتركه الأدب والشعر. روضة المحاسن وعمدة المحاسن،ديوان ابي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي ، تحقيق :الدكتور منجد مصطفى بهجت ، طبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨ : ١٢-١٦. ينظر : المغرب في حلى المغرب : ٤٤٤/٢-٤٤٥.

(٣٦) ينظر : الأمل واليأس في الشعر الجاهلي : ٩٧.

(٣٧) روضة المحاسن وعمدة المحاسن،ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي: ١٩٣.

(٣٨) ينظر : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي، طبعت بمطابع دار البلاد، جدّة – المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م : ٩٨-٩٩.

(٣٩) الأمل واليأس في الشعر الجاهلي :٩٧.

(٤٠) أبو إسحاق الإلبيري : إبراهيم ابن مسعود بن سعيد التجيبي (ت: ٤٥٩ه) المكنى بابي إسحاق والملقب بـ(الإلبيري) شاعر وفقيه غرناطي عرف بنقده السياسي والاجتماعي ، وأشعار الزهد ، نال شهرة كبيرة بقصيدته التحريضية ضد اليهود ، وطغيانهم أيام وزارة ابن النغريلة اليهودي حين مكنه باديس ملك غرناطة وسلطه على المسلمين ، وكانت بمثابة الفتيل الذي أوقد نار الثورة في غرناطة. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة : ١٥٥/٢.

(٤١) ديوان أبي إسحاق الإلبيري :٨٣.

(٤٢) ينظر : تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - الدكتور إحسان عباس، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠١١ : ٣٣.

(٤٣) رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م: ١٧٣/٣.

(٤٤) ينظر :الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: ٤٣. ينظر : الأمل واليأس في الشعر الجاهلي :٩٦-٩٧. ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري : ١٧

(٤٥) ينظر: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ٤٣-٤٥.

(٤٦) هو يوسف بن هارون الكِندي ، يكنى أبا عمر ، ويعرف بالرمادي ، نسبة إلى قول ابن بسام : " والرمادي المذكور عرف به غير واحد منهم الحافظ أبو عبد الله الحميدى في كتابه جذوة المقتبس وقال أظن أن احد آبائه كان من أهل الرمادة وهي موضع بالمغرب وهو قرطبي ..." شاعر مشهور كثير الشعر، سريع القول ، اكتسب صناعة الأدب عن عالم أدباء الأندلس شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل ، توفي الرمادي سنة (٤٠٣ هـ) . ينظر : المغرب في حلى المغرب : ٣٩٣/١. ينظر نفح الطيب : ٣٥/٤- ٣٦ . ينظر : شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري (ت ٤٠٣ه) جمعه ، وقدم له ماهر زهير جرار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،ط١ ،١٩٨٠ : ٢٠-٣٤.

(٤٧) المصدر نفسه : ١٢٨.

(٤٨) نفح الطيب : ٤٠/٤.

(٤٩) هو أبو بكر عُبَادة بن عبد الله بن ماء السماء ، من الخزرج بالأندلس ينتسب لسَعْد بن عُبَادة صاحب الرسول (صلى الله عليه واله) ، ويرتبط بنسبه هذا ببني الأحمر سلاطين غرناطة الذين ينحدرون من قيس بن سَعْد بن عُبَادة والذي انقرض على يدهم سلطان المسلمين هناك ، أديبا وشاعراً من فحول الشعراء وأئمتهم اشتهر بالموشحات مسترجعاً من الدهر وصروفه ولم يحدد صاحب الذخيرة سنة وفاته واكتفى بإيراد روايتين متقاربتين بقوله: "...اخبرني الفقيه أبو محمد علي بن احمد بن حزم أنّ أبا بكرٍ عُبَادةَ كان حياً في صفر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة...وذكر أبو عامرٍ ابن شهيد أن عُبَادة هذا مات في شوال سنة تسع عشرة بمالقة ، ضاعت له مائة مثقال فاغتم عليها وكانت سببَ وفاته . فلا أدري مَنْ وهمَ منهما ، وأبو حزم اعلَمُ بالتواريخ وأحفظ للتقييد، والله اعلم ." الذخيرة : ق١ ، مج ١، ص ٤٧١-٤٧٢. والباحث يتفق مع التي رجحها ابن بسام ويرى أنها قد تكون الأقرب للدقة وعلى ذلك تكون وفاته (بعد ٤٢١هـ) . ينظر : نفح الطيب : ٢٩٤/١، ٢٣/٤، ٥٢/٤.

(٥٠) الذخيرة : ق١، مج ١، ص٤٧٢.

(٥١) المصدر نفسه : ق١، مج ١، ص ٤٧٢.

(٥٢) المائدة : ٩٠.

(٥٣) المائدة : ٩١.

(٥٤) الذخيرة : ق١، مج ١، ص٤٧٣.

(٥٥) ينظر : دراسات في الأدب والتاريخ والفلسفة : ٦٥-٦٦.

(٥٦) الحجرات :١١.

(٥٧) هو أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري، من كبار شعراء إلبيرة في عصر ملوك الطوائف، اشتهر بهجائه ونقده الموجع لهم، وصفه ابن بسام بقوله: كان أعجوبة دهره، وهو صاحب مزدوج، وله طبع حسن، وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات، وخاصة إذا هجا وقدح (ت٤٨٤هـ) وقد طبع ديوانه مؤخرا فضلا عن دراسات فنية اتخذت من شعره وسيرته منطلقاً ومنهجاً . .ينظر: الذخيرة : ق١، مج١، ص٨٨٢. وينظر المغرب في حلى المغرب :١٠٠/٢. روضة المحاسن وعمدة المحاسن،ديوان ابي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي : ٢٩.

(٥٨) نفح الطيب ٤١٢/٣ .

(٥٩) الذخيرة : ق١، مج٢، ص٨٩٦ .

(٦٠) المصدر نفسه: ق١، مج٢، ص٨٩٥.

(٦١) صورة الأخر ناظرا ومنظورا إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ، ط٢، ٢٠٠٨م: ٣١.

(٦٢) الشاعر أبو بكر يحيى بن سهل اليَكّي ، (ت٥٦٠هـ) : نعتوه بـ"ابن رومي عصرنا وحطيئة دهرنا، لا تجيد قريحته إلا الهجاء ، ولا تنشط بهِ في غير ذلك من الأنحاء ..." المغرب في حلى المغرب : ٢٦٦/٢.ينظر : روضة المحاسن وعمدة المحاسن ، ديوان ابي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي: ٢٩.

(٦٣) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر ،١٩٧٤ :٢٧.

(٦٤) كناية عن المرابطين الذين كانوا يلبسون اللثام.

(٦٥) كيوان أي الشمس أو من أسمائها.

(٦٦) المغرب في حلى المغرب :٢٦٧/٢ -٢٦٨. ينظر : المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين ، الدكتور جمعة حسين يوسف الجبوري ، مؤسسة دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان ، ط١، ٢٠١٢م : ١٣١.

(٦٧) الهجاء والهجاءون في الجاهلية : ٩٦.

(٦٨) الاغتراب، ريتشارد شاخت: ترجمة كامل محمد حسين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠ :١٨٠.

(٦٩) الذخيرة : ق١، مج١، ص٨٩٥.

(٧٠) " الجليس المتفنّن الكاتب أبو محمد بن الياسمين عبد الله بن حجّاج الاشبيلي . نسب إلى أمه ، وكانت سوداء ، وكان هو أيضا اسود ...من أعلام الأدباء والكتّاب ، وذكر ابن عُمر في تاريخه أن وفاته كانت في سنة إحدى وستمائة.... ومما تلقيتُه من جماعة من طلبة مَرَّاكش انه وجد في تلك الغرفة على وجهه ووَتدٍ في دبره ... وربما كان يصرّح في [بعض] خَلَواته لمن يأخذ معه في ذلك الشأن ، إذا دارت كأس المدام ، وارتفع حجاب الحياء عن الكلام فيقول : ينبغي لأرباب هذه الصنعة إلا يعدلوا عن الأمرد ، فانه أطول [...] ، وأكثر سيراً " تحفظ الباحث عن إيراد اللفظ البذيء واكتفينا بالإشارة لسلبية ابن الياسمين وعلاقة الأبيات بمقتله. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ،ابن سعيد علي بن موسى (ت٦٨٥ ه)،تحقيق إبراهيم الابياري ،دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٦٧ :٤٢-٤٦.

(٧١) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة : ٤٥.

(٧٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥-٤٦.

(٧٣) ينظر: الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي : ٢٢١ .

(٧٤) "هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء؛ كان فقيهاً حافظاً متفنناً في النثر والنظم؛ وله مقامات ومختصر في الفرائض وكتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي..." نفح الطيب : ٤/ ٤٨٦.

(٧٥) نفح الطيب : ٤٨٤/٤ .

(٧٦) لتدعيم ما أوردناه عن فساد وضلال جزء من هاتين الطبقتين في الأندلس نجد ان الأمراء والحكام في التاريخ الأندلسي مليء بذمهم وانحرافهم واحتمائهم باليهود والنصارى على أبناء جلدتهم وملتهم وخير مثال لهذا الانحراف ما قاله ابن حيان عن الفقهاء والأمراء إبان سقوط بربشتر وغير ذلك مما سخر به ابن حزم الاندلسي من تشتتهم قائلا: " اجتمع عندنا بالاندلس في صقع واحد خلفاء اربعة كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بموضعه . وتلك فضيحة لم ير مثلها ، اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام كلهم يتسمى بالخلافة وامارة المؤمنين " تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م : ١٤٢-١٤٣. ينظر: نفح الطيب: ٤٥٣/٤. ينظر: فقه التمكين عند دولة المرابطين، الدكتورعَليّ محمَّد الصّلّابي،

مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م :٧٥. الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس : ٤٤- ٤٥. ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - : ٢٩-٣٢.

(٧٧) نفح الطيب : ٤٨٤/٤ . ينظر: الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي: ٢٢٥.

(٧٨) لاحظ أبيات الغزل والتشبيب التي قالها - الإمام - أبو محمد ابن السيد النحوي ، بأولاد ابن الحاج صاحب قرطبة- حَسّون ، وعَزُّون ورحمون - لولعه وهيامه بهم مجاهراً بحبه لهم مظهراً شذوذه عن الفطرة الإنسانية السليمة التي أودعها الرجال ، مما يظهر لنا جلياً ان ظاهرة الغزل بالغلمان والتشبيب بهم كانت موجودة وشائعة، لذلك يوصي الباحث بأهمية طرحها بوصفها موضوعاً للدراسة وتحتاج من الباحثين وذوي الاختصاص تسليط الضوء عليها في المستقبل بدراسات وبحوث ليس لغرض فني البتة إنما دراستها في ضوء خطورة هذه الظاهرة على المجتمع الإسلامي في الأندلس بوصفها ظاهرة من بين مظاهر الانحلال القيمي والأخلاقي التي تداعى بسببها بناء دولة الأندلس وأخلاقيات مجتمعها الإسلامي آنذاك. ينظر: نفح الطيب :٤٥٩/٣.

(٧٩) الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي : ٢٢٤.

(٨٠) المصدر نفسه : ٢٢٤.

(٨١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي : ١٤٧.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

* الاحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ه) تحقيق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

* الاغتراب، ريتشارد شاخت ، ترجمة كامل محمد حسين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

* الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ، د. احمد علي إبراهيم ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ٢٠١٣ .

* الأمل واليأس في الشعر الجاهلي : د. كريم حسن اللامي، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١، بغداد ، ٢٠٠٨ .

* بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري - القاهرة ، ط١، ١٩٨٩ .

* تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م .

* تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين - الدكتور إحسان عباس ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠١١ .

* الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي (٩٢هـ-٧١١م=٦٦٨هـ/١٢٦٩) ، نادر فرج زيارة ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية – غزة - ٢٠١٠م .

* جماليات النقد الثقافي في الشعر الأندلسي ، احمد جمال الدين المرازيق ، عمان– الأردن ، ط١، ٢٠٠٩ .

* الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، النادي الأدبي الثقافي، طبعت بمطابع دار البلاد، جدّة – المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م .

* دراسات اندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، الطاهر احمد مكي ، دار المعارف -القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٧.

* ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي، (ت٤٦٠هـ) حققه وقدمه، د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

* ديوان بحتري الأندلس (ابو بكر يحيى بن مجبر الموحّدي ، جمع ودراسة وشرح الدكتور يوسف عيد ، دار الفكر العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢ هـ)، تحقيق. إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر، لبنان ، ط١، ١٣٩٩ هـ.

* رسائل ابن حزم تحقيق ، د. إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م .

* روضة المحاسن وعمدة المحاسن ، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي ، تحقيق الدكتور منجد مصطفى بهجت ، طبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨ .

* شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري (ت ٤٠٣ه) جمعه ، وقدم له ماهر زهير جرار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،ط١ ،١٩٨٠.

* الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د. محمد مجيد السعيد ، دار الرشيد للنشر – العراق ، ١٩٨٠ .
* صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه ، تحرير الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ، ط٢، ٢٠٠٨م
* فقه التمكين عند دولة المرابطين ،الدكتور عليّ محمّد الصّلّابي ، ط١،القاهرة ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ،٢٠٠٦ .
* الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، فاطمة طحطح ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ١٩٩٣ .
* الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ،ابن سعيد علي بن موسى (ت٦٨٥ ه)،تحقيق إبراهيم الابياري ،دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٦٧ .
* الكتيبة الكامنة في ما لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ) ، تحقيق د.إحسان عباس ، ط١، دار الثقافة – بيروت ، ١٩٦٣.
* اللّامنتمي ، كولن ولسون ، دار الآداب ، بيروت ،ط٥، ٢٠٠٤ .
* المركزية الإسلامية (صورة الآخر في المخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى) ، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء - المغرب ، ط١ ، ٢٠٠١ .
* المُغرب في حلى المَغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق وتعليق د. شوقي ضيف ، دار المعارف- مصر، ط٢، ١٩٥٥م.
* المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين ، الدكتور جمعة حسين يوسف الجبوري ، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان ، ط١ ،٢٠١٢ م -١٤٣٣هـ.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت- لبنان ، دار صادر، ١٩٩٧ د.ط.
* نقد الشعر من المنظور النفسي، الدكتور ريكان إبراهيم، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد- ١٩٨٩ .
* الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، مصر ،١٩٧٤.